* محمد السيد شوشة *

« أنغام ساخرة »

*السخرية : موقف من الكاتب للخروج من مأزق فى التعبير عن ظاهرة صارمة للشخصية موضوع البحث ، أو للمجتمع ، فيحاول الخروج من الموقف الصارم بالالتجاء إلى الدبلوماسية فى التعبير ..

محمد السيد شوشة

* **محمدالسيدالسيد شوشة ..**

* ولد فى يوم الثلاثاء (**٢٣ من ربيع الآخر عام ١٣٣٦هـ ـ الموافق ٥من فبراير سنة ١٩١٨م**) بأبو كبير – محافظة الشرقية بمصر ..

* دخل الكُتاب سنة (**١٩٢٢**) فحفظ «القرآن الكريم» على يد الشيخ «إسماعيل جعفر» .. وحفظ «ألفية ابن مالك» ـ فى النحو والصرف ـ وهو فى العاشرة من عمره ..

* كان ترتيبه الأول فى التعليم الأولى ..

* حصل على الشهادة الثانوية سنة (**١٩٣٥**) من مدرسة الزقازيق الثانوية ..

* التحق بشركة للدعاية السينمائية تابعة لاستوديو مصر ؛ ليعمل موظفاً عند مديرها «**أحمد الألفى عطية**» الذى ألهب فيه شرارة الفكر والفن منذ أن رآه أول مرة عام (**١٩٣٢**) ، عندما كان الألفى أول مدير لاستوديو مصر .. وكان زميله «محمود السخيلى» ..

* التحق بمؤسسة أخبار اليوم فى أول مارس سنة (**١٩٤٧**) ، ثم تركها ليعمل بغيرها ثم عاد إليها فى أول يناير سنة (**١٩٥٦**)

* كون فريقاً للتمثيل مع أبناء قريته سنة (**١٩٣٦**) ..

* حصل على دبلوم اللغة الأمريكية من المركز الثقافى الأمريكى سنة (**١٩٥٠**)..

* عضو نقابة الصحفيين منذ ١١ من نوفمبر سنة (**١٩٥١**)..

* حصل على دبلوم معهد السينما سنة (**١٩٦٦**) فى معهد السيناريو الذى تأسس عام (**١٩٦٣**) ..

* رئيس تحرير مسلسلات كتب: «أنغام من الشرق» و «حياةالنجوم» و«الدراسات السينمائية» و «الروائع» ، ...

* كان مديراً لمكتب «دار الصياد – و الشبكة اللبنانية» بالقاهرة ..

* عضو «اتحاد الكتاب» و جمعيتى«كتاب ونقاد السينما» ، و «نقاد السينما المصريين» التابعة لاتحاد النقاد الدولى «فيبرسى»

* عضو شرف «نقابةالمهن السينمائية» ..

* زميل سابق فى أكاديميةالمسرح القومى الأمريكى «فى نيويورك» ..

* تدرب على الإخراج السينمائى كمساعد للمخرج «كمال الشيخ» فى فيلم «الرجل الذى فقد ظله» ..

* نال الكثير من شهادات التقدير ، وجوائز الدولة كرائد من الرواد الأوائل فى الصحافة الفنية ، من بينها :

ـ شهادة تقدير من مهرجان المسرح الإقليمى ،سلمها له «د .سليمان حزين» وزير الثقافة سنة (١٩٦٦) ..

ـ الميدالية الذهبية من مهرجان اليوبيل الذهبى للسينما المصرية تسلمها من «عبد المنعم الصاوى» وزير الثقافة سنة (١٩٧٨)

ـ ميدالية طلعت حرب ،والعضويةالشرفية بنقابة المهن السينمائية فى عهد السينما المصرية الأول .. تسلمها من «محمد عبد الحميد رضوان» وزيرالثقافة سنة (١٩٨١)..

* كتب فى الكثير من الصحف المصرية والعربية منها : «الصباح» التى أسسها «مصطفى إسماعيل القشاشى» فى (١٩٢٢/٧/٢٨) و «أبوالهول» التى أسسها «مصطفى إسماعيل القشاشى» فى(٩ من نوفمبرسنة ١٩٢٠) ، «الرسالة»

و«منبر الشرق» ، «مصر الفتاة» ، «الأيام» ، «التلغراف» ، «قصص الشهر» ، «الكاتب» ، «السينما» ، «اللواء» ، «قصص للجميع» ، «دنيا الفن» ، «الأحد» ، «الأبطال» ، «أهل الفن» ، «روزاليوسف» ، «صباح الخير» ، «مسامرات» ، «الاستديو» ، «أخبار اليوم» ، «الأخبار» ، «آخر ساعة» ، «الجيل» ..

* والصحف العربية اللبنانية منها : «الصياد» و «الشبكة» و «الموعد» و«ألحان» ..

* الصحف الكويتية : «القبس» مع «محمد جاسم النصف» ـ «محمد جاسم الصقر» ..

* أصدر حوالى (٥٠) كتاباً فى النقد ، والقصة ، والسيرة من أشهرها فى

***المجال الصحفى :**

١ - « أسرار الصحافة » سنة (**١٩٥٦**) دار المعارف الذى أعيد إصداره باسم :« أسرار على أمين » ..

٢ - « أسرار على أمين و مصطفى أمين » (**سنة ١٩٧٦**) أخبار اليوم ..

٣ - « روزاليوسف أول صحيفة سياسية فى العالم العربى » ..

* فى سلسلة أعلام الصحافة عن دار التعاون ..

٤ - « حديث الأبطال » عن قصص شهداء فلسطين والقنال سنة (**١٩٦٤**) ..

*** وفى المجال الأدبى :**

٥ - « أحمد رامى شاعر الشباب الدائم » (**١٩٨١**) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ..

٦ - « ٨٥ شمعة فى حياة توفيق الحكيم » سنة (**١٩٨٤**) دارالمعارف ..

٧ - « توفيق الحكيم » فى قصصه سنة (١٩٨٢) عن أخباراليوم ..

٨ - « نساء فى حياة عدو المرأة » سنة (١٩٨٤) عن أخبار اليوم ..

٩ - « مائة قصة وقصة » سنة (١٩٧٨) ..

١٠- « بيوت من زجاج » سنة (١٩٦٣) ..

١١- « أغانى بيرم التونسى » سنة (١٩٨٨) ..

١٢- « أزجال لم تنشر لبيرم التونسى » سنة (١٩٨٩) ..

* **وفى المجال الفنى :**

١٣- « عبد الوهاب الموسيقار المليونير » سنة (١٩٥٦) ..

١٤- « ليلى مراد أول سندريلا على الشاشة » سنة (١٩٥٦) ..

١٥- « صباح » سنة (١٩٥٦) ..

١٦- « فيروز، ونجاح سلام » سنة (١٩٥٧) ..

١٧- « فاتن حمامة » ..

١٨- « ماجدة » ..

١٩- «كمال الشناوى » ..

٢٠- « أم كلثوم حياة ونغم » سنة (١٩٧٦) ..

٢١- « محمد فوزى : شحات الغرام » ..

٢٢- « أسمهان و فريد الأطرش : نغمان من جبل العرب » ..

٢٣- « رواد ورائدات السينما المصرية » سنة (١٩٧٨) عن روزاليوسف

٢٤- « عبد الحليم حافظ مداح القمر » سنة (١٩٨٤) ..

٢٥- « عبد الوهاب : موسيقار العرب » سنة (١٩٨٥) ..

٢٦- « العزيمة » سنة (١٩٧٧) ..

٢٧- «كمال سليم : رائد الواقعية فى السينما المصرية » سنة (١٩٧٦) ..

* **وفى مجال الرواية :**

٢٨- « أحكام القدر » .. صدرت سنة (١٩٣٧) ..

٢٩- « خواطر وقصص قدمها عبدالرحمن الخميسى » عام (١٩٤٠) ..

٣٠- « البوهيمية » :رواية صدرت سنة (١٩٤٥) تحاكى قصة «هنرى بورجيه» الفرنسى ..

* **تحت الطبع :**

ـ «أسرار الصحافة» جزء٢ بعنوان (صحافة الملايين) عن دارالتعاون بالقاهرة..

ـ «توفيق الحكيم : المفكر الدينى» عن إدارة الكتب والمكتبات بمؤسسة أخبار اليوم ..

* **وفى مجال السينما :**

ـ فيلم «آمنت بالله» ..

ـ فيلم «الأميرة ذات الهمة» إعداد سيتمائى عن قصة «عباس خضر»

* **وفى مجال المسرح :**

ـ مسرحيات مترجمة عن الإنجليزية :

ـ «النظارة» تأليف «سيدنى جروندى» و إخراج «كامل يوسف»

ـ «بيوت من زجاج» تأليف «والتر واليس» وإخراج :كامل يوسف ..

ـ «حتى منتصف الليل» للكاتب الألمانى «جورج قيصر»

عن ترجمة بالإنجليزية لاشلى ديوكس ـ إخراج إغلول الصيفى»

* **وفى مجال الإذاعة :**

ـ سهرة بعنوان «عمر الخيام : الشاعر الفلكى الفيلسوف» ـإخراج «محمود يوسف»

ـ مسلسل إذاعى فى ٣٠ حلقة بعنوان : «أحمد رامى : شاعر الشباب» إخراج «عبد الفتاح سراج» ..

ـ مسلسل إذاعى فى٣٠حلقة بعنوان «شحات الغرام» إخراج «سمير عبد العظيم» ..

* **وفى مجال التليفزيون :**

ـ مسلسل عن «حياة توفيق الحكيم» إخراج «يحيى العلمى» ..

ـ سهرة تليفزيونية باسم «تاج الملك» قصة تاريخية غنائية ..

* قام برحلات كثيرة إلى الدول العربية مثل : العراق وسوريا وفلسطين ولبنان ..

والدول الأوروبية مثل : تركيا ـ اليونان ـ إيطاليا ـ فرنسا ـ أسبانيا ـ إنجلترا ـ بلغاريا ـ يوغسلافيا ـ بلجيكا ـ سويسرا ـ ألمانيا ..

* **توفى يوم الثلاثاء (١٢ من ذى القعدة عام ١٤١٠هـ ـ الموفق ٥ من يونية سنة ١٩٩٠م)** ..

* * *

* من آثاره :

«هكذا .. سخرت منهم»

يقول الأستاذ محمد السيد شوشة :

حين تناولت شخصية كاتبنا الكبير توفيق الحكيم بالنقد فى بعض دراساتى عنه ، لجأت إلى السخرية كموقف دبلوماسى ..

ففى كتاب (نساء فى حياة عدو المرأة) عارضته فى آرائه المعادية للمرأة ، وجعلته يرد على نفسه فى هذا الموضوع برأى وصف فيه موقفه العدائى للمرأة الذى عارض فيه قاسم أمين فى أمر السفور بأنه رأى سخيف من شاب فى مقتبل العمر كان ينبغى أن يشجع الدعوة للسفور ، لكنه على العكس ارتدى عمامة الشيوخ المتزمتين وحارب السفور .

* * *

وعندما أراد الحكيم التحبب للمرأة بإعلان أنه لا غنى للفنان عن المرأة كملهمة ، جاء له برد من الدكتورة سهير القلماوى ، قالت فيه

- **إن المرأة ليست آلة من آلات الوحى والإلهام ..**

* * *

وحين أصدرت كتابى عن (عبد الوهاب) بعنوان «الموسيقار المليونير» غضب من العنوان الساخر ؛ لأنه يوحى بأنه ليس فناناً وإنما «تاجر» ..

وفى كتاب «أم كلثوم حياة ونغم» هاجمت الفنانة الكبيرة ، على اعتبار أنها مطربة تقليدية ، وليس مطربة متطورة ، بحكم ابتعادها عن المسرح الغنائى ..

وفى هذه المناقشة لجأت إلى الموقف الساخر بالدفاع عنها ، على اعتبار أن لها مسرحاً غنائياً ، يعتمد عليها كمطربة تعتبر بمفردها فرقة غنائية كاملة ..

* * *

يعتقد البعض خطأ أن كتاباتى عن النجوم ، جاءت نتاجا عن علاقتى الشخصية بهم كأصدقاء ، و هذا يثير الاعتقاد بأن مؤلفاتى عنهم قائمة على المجاملة ..

* * *

أذكر حين أصدرت كتاباً عن (فاتن حمامة) أن قُدمت إلى محاكمة أدبية ، بتهمة سوء الاختيار على اعتبار أن فاتن حمامة فى ذلك الوقت فى الخمسينيات لم تصبح موضوعاً للدراسة ..

وكانت هذه المحاكمة مكونة من بعض الكتاب والمفكرين الراحلين أمثال طاهر أبوفاشا ، و يوسف حلمى المحامى ، وأنور أحمد ، و محمد فتحى : كروان الإذاعة .

* * *

ومحمد السيد شوشة يهتم فى كتاباته بالمفارقات والقفشات .

ذكر فى كتاب «العزيمة» عن كمال سليم رائد الواقعية فى السينما المصرية أن هذا المخرج العبقرى ، استطاع أن يجعل من مشهد الجنازة فى الفيلم ، وهو مشهد مقبض للنفس ، مشهداً يدخل على النفس البهجة والارتياح ؛ لأن الحانوتى استغل أجره عن تشييع الجثمان ، فى إنقاذ دكان الأسطى حنفى الحلاق والد البطل من البيع فى المزاد العلنى ! ..

«هكذا يكون الصحفى» !..

ماالذى يصنع الصحفى ؟ هل هو البيئة التى يعيش فيها ؟ أو أحداث العالم التى تمر به ؟ .. هل هو الوراثة ؟ أوالكتب التى يقرؤها والصحف والمجلات التى تقع فى يده .. أو هو كل هذا ، إلى جانب حاسة سادسة أو ملكة خاصة تولد معه ؟

فلنحاول أن نعرف أول صحف ومجلات امتدت إليها يد التوءمين الطفلين (على ، ومصطفى أمين) ..

إن مجلتهما الأولى صدرت فى سنة ١٩٢٢ .. وكان عمرهما وقتئذ ثمانى سنوات .. وقد أطلقا عليها اسم (مجلةالحقوق) ..

ولكن لماذا اتجها إلى هذا الاسم ؟ هل قصدا حقوق الشعب مثلاً ؟ هل قصدا حقوق التلاميذ ؟ هل قصدا أن تكون مجلتهما للأبحاث القضائية ؟ ..

إن شيئاً من هذا لم يخطر ببال الصغيرين .. إن سر اختيار الاسم يرجع إلى أن والدهما كان يملك مجموعة من مجلة الحقوق التى كانت تنشر الأحكام والأبحاث القضائية .. وكان خطهما رديئاً ، فخطر ببالهما أن يقصا اسم «الحقوق» ويلصقاه على أعداد مجلتهما..

وإذا قلبت أعداد (مجلة الحقوق) التى أصدرها التوءمان ، فإنك تجدها مكتوبة بالقلم الرصاص .. على ورق الكراريس ! . الصفحة مقسمة إلى عمودين.. وعلى الصفحة الأولى كتب أنها جريدة سياسية يومية أدبية .. مع أن صفحاتها خالية من السياسة والأدب .. اللهم إلا بعض أبيات شعر منقولة من كتب المحفوظات !..

وهى ليست يومية .. إذ لم يصدر منها فى عام ١٩٢٢ إلا أربعة أعداد فقط، أى بمتوسط عدد واحد كل ثلاثة شهور .. وليست فيها أخبار ، فيما عدا أخباراً صغيرة متناثرة عن نقل ناظر المدرسة .. وعن رحلة إلى رأس البر .. وعن نفى (سعد زغلول) .. وهى أقرب ما تكون إلى مجلة الفصل فى مدرسة دمياط الابتدائية حيث كان التلميذان الصغيران يتنقلان فى ذلك العام بينهما ..

ثم نجد أن على ومصطفى انفصلا فى عام ١٩٢٣ .. أصبح لكل واحد منهما مجلة خاصة يحررها .. استمر (مصطفى) يصدر مجلة «الحقوق» ..وأصبح (على) يصدر مجلة «البيان» .. و اختياراسم مجلة البيان كذلك شبيه باختيار مجلة الحقوق .. فقد كان والدهما يحتفظ بمجموعات من مجلة البيان التى كان يصدرها الكاتب المرحوم الشيخ «عبد الرحمن البرقوقى» ..

والمجلتان اللتان أصدرهما (على) و(مصطفى) و عمرهما ٩ سنوات ، فيهما تشابه فى الموضوعات والإخراج و التبويب .. وإن كان على أمين أدخل الرسم فى المجلة .. فنقل صورا بالورق الشفاف عن مجلات أخرى ، وظهر التجديد فى تبويبها أكثر من مجلة «الحقوق» التى كان يصدرها مصطفى ..

وتنافست المجلتان كل منهما تحاول أن تسبق الأخرى فى الظهور .. كانتا تصدران فى أول كل شهر ، و قد بدأت كلتاهما بأربع صفحات .. ثم أصبحت ستاً ، ثم ثمانى صفحات ..

إن المجلتين مليئتان بالمتفرقات..وهذا يدل على أن الصغيرين كانا يطّلعان على كتب ومجلات كثيرة فى مكتبة والدهما .. إنهما ينقلان النُكَت والنوادروأخبار المخترعات وبعض الْحِكَم والأمثال..وقد تأثرت المجلتان بمجلة مصورة ظهرت اسمها مجلة الأولاد لصاحبها إسكندر مكاريوس .. وهى مجلة شقّت طريقها إلى

الأولاد فى المدارس .. وكان فيها قصص بطولة اسمها «دان ودورا» فتجد أن مصطفى أختار أن يوقع الأخبار بإمضاء(دان) .. و أن (على) بدأ يحاول عمل رسوم كاريكاتورية مقلداً صور نوادر الشاويش عطية التى كانت تنشرها مجلة الأولاد ..

ويبدو كذلك أنهما كانا يقرأان مجلة النيل المصرى .. وهى مجلة مصورة .. و مجلة اللطائف المصورة .. و مجلة الكشكول .. ومجلة النهضة النسائية فإنك تجد فيهما فيما يكتبان شذرات منقولة من هذه المجلات أو تعليقات على ما نشر فيها .

وكانت مجلة النهضة النسائية التى كانت تصدرها السيدة لبيبة أحمد تحوى صفحة بعنوان «مقامات أبى الشمقمق» وهى مقامات فكاهية .. فتجد مصطفى أمين يحاول فى مجلته أن يقلد أسلوب المقامات .. فيصف خناقة فى حارة مجاورة .. و كيف ألقت عليه ابنة الجيران ماء فى الظلام وهو يمشى فى الحارة ، إنه يقول :

ـ «بينما نحن كذلك ،والظلام حالك .. طب علينا طشت غسيل ، كأنه المطر الوبيل» ..

ويصف بنت الجيران فيقول :

ـ «وظهرت أم بيومى ،كالديك الرومى ، تصرخ وتصيح ، وكأنها البائع السريح» !..

وتجد على أمين يدخل فى مجلته باباً عن الألعاب الرياضية ، فيصف مباراة الكرة ويتكلم عن اللاعبين حسين حجازى ، وعلى الحسنى ..

وفى هذه السنة لم يكتف الولدان الصغيران بالمنافسة ، فأصدرا مجلة مشتركة هى مجلة «الأسد» .. ولايعرف أحد لماذا اختارا هذه التسمية .. إن

المجلة مكتوبة بالقلم الرصاص ، ويبدو أنهما اشتريا لهذا الغرض أقلاماً ملونة .. لأنك تجد فى الصفحات ألواناً مختلفة .. كل عنوان صفحة بلون مختلف .. وليس فى المجلة حديث عن الأسد .. ولكن فيها مقال افتتاحى يهاجم المحسوبية فى الرحلات المدرسية .. وقد وضعا له عنوان «الزئير» ! .. وإن كان الأسد لم يزأر فى الصفحات التالية !..

غير أن المجلة تأثرت بالأحداث الجارية .. ففى سنة ١٩٢٣ كانت الانتخابات تُجرى لأول برلمان مصرى .. وهنا تقوم مجلة الأسد بدعوة قرائها من تلامذة «حارة البابلى» ـ وهى حارة وراء الشارع الذى يسكنان فيه ـ إلى انتخاب جمعية تدافع عن حقوقهم ،وتنظم مباريات الألعاب الرياضية فى الحارة ، وتؤلف فرقة تمثيل للحى ، وتقوم بتنظيم الرحلات !..

ويبدو أن مجلة الأسد كان لها قراء .. فإنك تجد فى أعدادها التالية وصفاً للانتخابات ، وكيف أن إبراهيم جلال الدين ، ومصطفى أمين ، وعلى أمين ،وحمدى فؤاد . نالوا أكبر عدد من الأصوات .. وأصبحوا أعضاء اللجنة العليا لحارة البابلى !

ثم نقرأ فى العدد الثالث نتيجة اجتماعات اللجنة العليا ، وأن (على) أصبح أميناً للصندوق ، ومصطفى أصبح سكرتيراً !..

ونجد أن المجلة أصبحت تهتم بالتمثيل .. و يبدو أن التوءمين شاهدا بعض روايات تمثيلية على مسرح يوسف وهبى .. ولكن يظهر أن يوسف وهبى لم يكن هو الممثل الأول فى نظرهما.. كان معبودهما هو الممثل الكوميدى شارلى شابلن وزميله هارولد لويد .. وأيضاً على الكسار !..

وحينما جاءت سنة ١٩٢٤ اختفت مجلات الحقوق والبيان والأسد!..كانت كل هذه المجلات تصدر من نسخة واحدة مكتوبة بخط (على) أو بخط (مصطفى) أو بخطهما معاً .

ولكن سنة ١٩٢٤ شهدت اتجاهاً نحو الطباعة .. يبدو أن القراء زادوا .. واقتضى الأمرطبع عدة نسخ من المجلة الواحدة .. ثم إن الاسم تغير أيضاً فأصبحت المجلة تسمى «سنة ثالثة ثالث» .. وهو اسم فصلهما فى مدرسة المنيرة الابتدائية ..

إنها مطبوعة بالكربون .. وهى عبارة عن صفحتين ، و قد كتب عليها «مجلة أسبوعية تصدر كل يوم سبت»! .. لايعرف أحد لماذا اختارا يوم السبت !..

ومن الغريب أن أخباراليوم ظهرت هى الأخرى يوم السبت .. وهى مصادفة عجيبة .. اللهم إلا إذا كان اختيارهما لهذا اليوم لأنه يلى يوم الجمعة ، فيستطيعان طبع المجلة فى يوم العطلة .. و ثمن النسخة مكتوب عليها .. إنه ثمن لا يخطر بالبال : «الثمن سن ريشة جديد» ! ..

ومجلة سنة ثالثة مليئة بالأخبار والنكت .. وأطرف ما حدث فى رحلة المدرسة إلى المتحف المصرى ، فهى تقول مثلاً :

ـ إن حارس المتحف منع حبشى أفندى ، مدرس الترجمة ، من الخروج من المتحف باعتباره أحد قدماء المصريين ! ..

وهذه أول مرة يجرؤ فيها التلميذان الصغيران على مداعبة مدرس .. إن مجلاتهما السابقة خلت من أى عبارة فيها سخرية بأحد من المدرسين! .. ففى العدد الصادر من مجلة «حارة البابلى».. فى ١٩ من يناير سنة ١٩٢٤ صورة لسعد زغلول .. وقد كتب تحتها «سعد نائب حتتنا» إشارة إلى أن سعد زغلول هو نائب دائرة السيدة زينب التى تعتبر «حارة البابلى» من بين شياخاتها ..

ثم كتب هذا الخبر :

ـ نال معالى سعد زغلول باشا الأغلبية الساحقة فى الانتخابات .. وهو فى الوقت نفسه نائبٌ دائرتنا السيدة زينب ..

وفى العدد الصادر من مجلة «حارة البابلى» فى ١١ من فبراير سنة ١٩٢٤ خبر بعنوان «الإفراج عن الأبطال» جاء فيه أن حكومة سعد زغلول باشا أفرجت عن عبد الرحمن فهمى بك وجميع المسجونين السياسيين الذين حكم عليهم الإنجليز بالإعدام و بالسجن المؤبد فى اللومان ..

وفى نفس العدد وصف لكنوز توت عنخ آمون ، وما فيها من عجائب وغرائب بأسلوب أقرب إلى موضوعات الإنشاء منه إلى وصف صحفى دقيق ..

ولكنك ترى فى عدد ١٩ من يوليو سنة ١٩٢٤ من هذه المجلة ، أن الولدين اللذين فى العاشرة من عمرها يكتبان أول تحقيق صحفى حقيقى عن إطلاق الرصاص على سعد زغلول .. لقد تفاعلا بالحدث الذى كانا يعيشان فيه .. إن وجودهما المستمر مع (سعد) جعلهما يعرفان كيف وقع الحادث ..

إنهما يصفان الحادث كما يرويه (سعد) فى تحقيق صحفى بعنوان «أين المسدس» ؟ .. ويقول التحقيق إن المسدس الذى ضرب به الجانى محمد عبد الخالق الزعيم سعد زغلول اختفى ؟ معنى هذا أنه كان مع الجانى شركاء .. إن هناك شريكاً انتهز فرصة الفوضى التى قامت بعد إطلاق الرصاص على الزعيم فى محطة مصر .. فأخذ المسدس حتى لا يعرف أحد مصدره ، ويكشف عن شركاء الجانى ..

والذى يقرأ هذا الموضوع يلمس أشياء غريبة بدأت تكشف عن الروح الصحفى فى التوءمين ..

فمثلاً ترى فيه أن أم المصريين قالت لسعد صباح يوم الحادث :

ـ «**عينى بترف**» ..

فطلب منها أن تضع قطرة !.. ووضعت قطرة .. ولكن استمرت عينها «ترف» إلى أن جاء إليها سعد زغلول والدم يقطر منه !..

وفيه حديث عن الرصاصة .. إن سعد زغلول يعتقد أن الرصاصة أخرجت من جسمه .. و الدكتور على إبراهيم رامز يقول : إنه لم يستطع إخراج الرصاصة من جسم الزعيم .. نظراً لأن مكانها دقيق بجوار قلبه .. و الذى يراجع التحقيقات الصحفية التى نشرت عن هذا الحادث فى الصحف والمجلات يجد أن تحقيق مجلة حارة البابلى أكمل من الوجهة الصحفية من كثير من التحقيقات التى نشرت فى الصحف الصادرة فى تلك الأيام ، مع فارق واحد ، هو أن أسلوب مجلة البابلى مزيج من العامية والعربية و فيه أخطاء لغوية و نحوية كثيرة ..

فبينما تجد جزءاً من الكلام فيه عبارات تشبه أسلوب المنفلوطى، تجد جزءاً آخر من الكلام الدارج .. ويبدو أن التوءمين قرأا للمنفلوطى .. ففى العدد التالى رثاء طويل للسيد مصطفى لطفى المنفلوطى .. وذلك يدل على أن أحدهما على الأقل قرأ له .. كما أن ذلك يوحى بأن المنفلوطى كان كاتباً مفضلاً فى بيت الأمة ؛ لأنهما اهتما بذكره واعتبار وفاته نكبة للأدب ..

وفى المجلة اهتمام بالكاريكاتور .. ومحاولة لشف الصور الكاريكاتورية من مجلتى خيال الظل والكشكول ..

وخيال الظل .. مجلة أصدرها الأستاذ أحمد حافظ عوض فى سنة ١٩٢٤ .. صدر العدد الأول منها فى ١٢ من يونيو من ذلك العام .. وهى على طراز الكشكول .. ولكنها وفدية متطرفة .. وكان يكتب فيها أحمد حافظ عوض

الذى اشتهر بأسلوب فكاهى يوقعه بإمضاء محمدين ، وجورج طنوس ، وعبد المجيد حلمى ، وجمال الدين حافظ عوض ..

وكان يرسم صورها الرسام التركى رفقى .. ومجلة خيال الظل تحوى تعليقاً سياسياً على الأحداث بعنوان «ملاحظات ومشاهدات من أسبوع لأسبوع» ، وباب «على سماعة التليفون» وهو تخيل أحاديث تليفونية بين خصوم الوفد بأسلوب فكه .. وباب اسمه «حديث البارمان» وهو صورة لما يجرى فى البارات ، وبعض المواويل و الأزجال ..

ولا تجد أن مجلة التوءمين تأثرت بهذا الأسلوب الذى هو أسلوب التوريات واللذعات والقفشات والجناس اللفظى .. ولكنهما يأخذان من المجلة بعض الوجوه الكاريكاتورية التى ترسمها بطريقة «الشف» فليس فى الصور الكاريكاتورية المنقولة أى محاولة للخلق ، وإنما هى عملية نقل فقط ..

ولم تكن «سنة ثالثة ثالث» ميدانهما الوحيد ، فإن الدراسة لم تكد تنتهى حتى أصبح اسم المجلة «حارة البابلى» .. إنه الحى الذى كان الولدان الصغيران يلعبان فيه الكرة .. لذلك ترى المجلة تصف مباريات الكرة ، بل إنها تطالب بتشجيع لعبة «الكرة الشراب» باعتبارها المدرسة الأولى التى يجب أن يتخرج منها لاعب كرة القدم الممتاز ..

وفيها باب عن التمثيل ، ووصف لحفلة تمثيلية أقيمت فى الدور الأول من منزل التوءمين بشارع الدواوين .. وفيها نقد للفوضى وسوء النظام ومهاجمة الممثلين الذين لم يحضروا البروفات .. و تشعر أن (مصطفى)و (على) كانا مؤلفى الرواية والمخرجين والممثلين والنقاد أيضاً ..

ومجلة «حارة البايلى» فيها دلالة على أسماء الصحف والمجلات التى كان يقرؤها التوءمان فى هذه السن المبكرة .. إنهما أخذا من مجلة الكشكول باب «فى المرآة» ، وبدلاً من أن يكتبا عن رجال السياسة راحا يرسمان صوراً لشخصيات الحى .. مثل محمد بن النجار وعبده العجلاتى و بائع الكازوزة .. وعم إبراهيم البواب ..

ثم هناك شخصية خطيرة هى شخصية حسن جودة ، وهو عامل فى مطبعة ومحرر فى الوقت نفسه .. فنرى أن مصطفى يكتب على لسانه زجلاً يقول فيه :

- أنا فى الصبح مطبعجى وبعد الظهر جرنالجى ..

والزجل كله سخرية وهزء واستخفاف بالبعبع الذى يخيف تلاميذ الحى .. ويمنعهم من لعب الكرة أمام المكان الذى يعمل فيه.. ومجلة حارةالبابلى .. لاتشبه أى مجلة من المجلات التى كانت تصدر فى عام ١٩٢٤ فهى تخالفها جميعاً ، ولكنها نتيجة قراءات فى مجلة مختلفة ..

إنك تجد فيها كثيراً من الأبواب الموجودة فى المجلات الكبرى فى تلك الأيام ، غير أن الأسلوب والطريقة مختلفان .. فلم يكن الولدان الصغيران حتى تلك الأيام يتتلمذان على مدرسة معينة .. بل إنك تراهما يستفيدان من المدارس المختلفة فى الأسلوب وفى الطريقة .. ومن هنا تبدو المجلة كأنها مجموعة من أساليب مختلفة، وطرق متباينة فى التعبير ، إنها تحوى مقالات فيها أسلوب السجع.. وهو أسلوب كان يظهر فى الكشكول وخيال الظل ، وهما مجلتان كانتا من أكبر المجلات السياسية فى تلك الأيام ..

ولكنك تجد أن حجم الأخبار والموضوعات فيها مختلف عنهما .. إن المقال لا يزيد عن عشرة أسطر أو خمسة عشر سطراً .. و أحياناً تجد الخبر أو

القفشة فى ثلاثة أسطر فقط ، و لعل السبب هو ضيق المساحة ، ورغبتهما فى أن يكتبا عدة موضوعات فى الحجم الصغير الذى كانت تظهر فيه المجلة .. و أغلب الظن أن الولدين الصغيرين لم يهدفا فى هذه السن إلى مبدأ الاختصار الذى كان طابع مدرستهما بعد ذلك ..

وفى هذا العام أيضاً كان الأستاذ سليمان فوزى يصدر مجلة الكشكول ، وهى مجلة سياسية كاريكاتورية .. أقوى من مجلة خيال الظل أسلوباً وفناً وقفشات ومن أوسع المجلات انتشاراً .. وكانت تهاجم سعد زغلول بعنف .. وتصدر فى عشرين صفحة من بينها أربع صفحات ملونة بأربعة ألوان .. وتطبع على مطبعة الحجر ، ويقوم برسم صورها الرسام الأسبانى «سانتيس» .. وكان أستاذاً فى مدرسة الفنون الجميلة ..

وترى فى مجلة حارة البابلى محاولات فاشلة لتقليد هذا الرسام .. ثم إن كُتَّاب مجلة الكشكول يضمون عدداً من أساتذة الفكاهة فى مصر .. أمثال عبد العزيز البشرى ومحمد إبراهيم هلال ومحمد الههياوى وحسين شفيق المصرى ..

وكانت أبواب الكشكول هى : باب «على مرسح السياسة» ويكتبه سليمان فوزى ، ويعلق فيه على الأحداث الجارية بأسلوب لاذع .. وباب «فى المنام» و يكتبه محمد الههياوى ، و يتصور اجتماعات تجرى فى الآخرة أو فى الدنيا ، يهاجم فيها الزعماء الذين ماتوا قبل سعد زغلول .. تصرفات سعد زغلول .. ثم مجموعة من التعليقات والقفشات .. و باب يكتبه حسين شفيق المصرى باسم دائرة المعارف الوفدية ..

حاول التوءمان أن يقلداه فى بعض أعداد مجلتهما .. فكانا يكتبان باباً اسمه «دائرة معارف حارة البابلى» يحاولان فيه مداعبة الشخصيات المشهورة فى الحى .. ثم هناك باب «قصيدة الشاعر إياه» .. وهو شعر فكاهى كان يكتبه حسين شفيق المصرى يهاجم فيه الوفديين .. ومن الغريب أن التوءمين حاولا أن يقلدا هذا النوع من الشعر .. و لكن جاءت الأبيات المنشورة مكسورة ..

ففى عدد صادر من مجلة «الطالب المصورة» فى ٢١ من مارس سنة ١٩٢٥ قصيدة أراد التوءمان أن يصفا فيها هزيمة فريقهما فى كرة القدم ، أمام فريق مدرسة الناصرية ، وقد جاء فيها :

دعينا من ملامك يا سرينا ... فإن الحال أصبح كله طينا
خسرنا الماتش فى الناصرية حتى ... دخلت ستة أجوان فينا
وكان لعبنا أسوأ لعب ... وكان خروجنا متخرشمينا
وكان اللاعب منا يجلى ... و تدخل الكرة فينا جونا
وكان لعباً زفتاً تملى ... وجاء خصومنا لعنوا أبونا

وهذه بعض أبيات من قصيدة حسين شفيق المصرى التى لجأ الصغيران إلى تقليدها :

دعينا من ملامك يا سرينا ... فإنك بالملام تلخبطينا
وكيف اللوم تسمعه ودانى ... وحالى أصبحت زفتاً وطينا
ومالك يا «سرين» تعنفينى ... وأنت مع الجماعة تهربينا
أرى أعداءنا هجموا علينا ... فَذُقْنا من هجومهم المنونا

ويظهر أن التوءمين شعرا بفشلهما كشاعرين .. فإنك لاتجد فى الأعداد التالية أى محاولة للشعر الفكاهى ، غيرأن مصطفى أمين مالبث أن كرر هذه

المحاولة بعد ذلك بثلاث سنوات .. متأثراً بالشعر الفكاهى والمواويل التى كان يكتبها الدكتور سعيد عبده و بديع خيرى فى مجلة روزاليوسف ..

وفيما عدا ذلك ، لا يبدو فى أسلوب الصغيرين أي تأثر بمجلة الكشكول فإن أسلوب هذه المجلة مليء بالألفاظ اللغوية .. و المحسنات البديعية .. وفيه اعتماد على حكم الشعراء القدامى ، وهو متأثر إلى حد ما بالأسلوب الأزهرى أكثر من تأثره بأسلوب الكتابة الحديثة ..

ولكن سنة ١٩٢٤ شاهدت تطوراً فى تفكيرهما الصحفى .. لقد تركا فجأة الكاريكاتور ، واتجها إلى التصوير .. وعدلا عن إصدار مجلتهما بالكربون ولجأ ا إلى طبعها بالبالوظة ..

وأصبح اسمها « الطالب » ..

ولعل السبب فى ذلك أن هذه السنة شهدت نهضة فى الصحافة المصورة .

وكانت أهم المجلات المصورة هى مجلة «اللطائف» .. وهى تصدر فى ١٦ صفحة تكتب على صدرها أنها «مجلة فكاهية أدبية علمية تاريخية» تنشر صور الحوادث الجارية ومشاهير رجال العالم .. تصدر مرة كل أسبوع لصاحبها «إسكندرمكاريوس» ..

وكتبت اللطائف فى العدد الصادر يوم ٧ من يناير سنة ١٩٢٤ تصف نفسها بقولها : «إن اللطائف المصورة اليوم على عتبة سنتها العاشرة .. تتلفت فترى وراءها سهولاً وجبالاً وأودية فى عالم الصحافة ، قطعتها كلها من غير أن تقف يوماً أوتتردد هنيهة أو ترجع إلى الوراء أو تميل إلى الاستراحة .. (٤٦٤ عدداً) من اللطائف المصورة صدرت أسبوعياً أثناء السنوات التسع الماضية.. وفى كل أسبوع ، بل فى كل شهر ، كانت اللطائف تزداد رسوخاً وثباتاً ونمواً .. لأن

عدد قرائها ومريديها كان يزداد بطبيعة الحال ، شأن كل صحيفة راقية رائدها الخدمة العامة الحقة ومصلحة الوطن والبلاد ..

فاللطائف مدينة بنموها لحضرات الأفاضل الذين نشطوها وتعهدوها بإروائها وسقيها حتى صارت الآن شجرة كبيرة يتفيأ تحت ظلالها ويقطف زهورها وثمارها أكثر من ثلاثين ألفاً من القراء فى مختلف البلاد ..

واللطائف أول دار صحفية فى مصر تصدر مجلات ..

أصدرت مجلة الأولاد ، ومجلة الروايات المصورة ، وكانت تطبع صورها بطريقة الطباعة العادية . وكانت صورها غير واضحة ، وصفحاتها غير منظمة ، وأسلوبها فى الكتابة فيه حشو كثير .. وكانت تصدر فى بعض الأحيان وليس فيها مقال واحد .. اللهم إلا قصة مسلسلة تستغرق جميع صفحاتها ..

وكان (مصطفى) و(على) يقصان بعض صور اللطائف ، ويلصقانها على أعداد مجلة الطالب .. وكان مصروفهما اليومى لايسمح بشراء عدة نسخ من اللطائف – والنسخة منها بقرش صاغ ـ بعدد نسخ الطالب ..

فكنت تجد فى الصفحة الأولى من العدد الواحد صورة مختلفة فى كل نسخة .. نسخة فيها صورة سعد زغلول .. ونسخة فيها الممثل زكى عكاشة .. ونسخة فيها صورة توت عنخ آمون! ..

وكل صورة من هذه الصور المنزوعة من مجلة اللطائف ألصقت بالصمغ على الصفحة الأولى من مجلة الطالب ... ولكنك إذا نظرت إلى الكلام المكتوب تحت الصور تجده يختلف عن الكلام الذى تكتبه مجلة اللطائف تحت صورها ..

إن العدد الصادر من مجلة الطالب فى ١٧ من مايو سنة ١٩٢٤ فى الصفحة الأولى منه صورة للرأس تفرى ـ إمبراطور الحبشة ـ منزوعة من مجلة

اللطائف الصادرة فى ١٣ من مايو .. إن مجلة الطالب كتبت تحت الصورة ما يلى: «ولى عهد الحبشة يزور مصر » .. أما مجلة اللطائف فقد كتبت تحت الصورة نفسها :

«منذ سنة إلا قليلاً .. استقبلت مصر صاحبة السموالأميرة منن زوجة صاحب السمو الرأس تفرى ، ولى عهد المملكة الحبشية كما يذكر القراء ، ويذكرون صورها التى نشرناها فى اللطائف» ..

«وفى أوائل هذا الشهر حل سمو الأمير زوجها ولى العهد ضيفاً كريماً على مصر ، فاستقبل بمجالى الحفاوة والإكرام .. ونحن نكتب هذه السطور وسموه لا يزال مقيماً فى العاصمة .. يتنقل من مكان إلى مكان ، ويلاقى من أسباب الاحترام والتجلة ، مايليق بعظمة الرجال .. وقد تمكنا من إثبات بعض صور سموه التى صورها لنا مندوبنا الخاص» ..

وبين الصورة الملصقة فى نسخ مجلة الطالب فى ١٧ من مايو سنة ١٩٢٤ صورة ملصقة كتب تحتها : « صاحب المعالى فتح الله بركات باشا وزير الزراعة بعد شفائه من العملية الجراحية وإلى جواره معالى حسن حسيب باشا وزير الحربية » ..

إن اهتمام على ومصطفى بشفاء فتح الله بركات ، وبنشر صورته فى مجلة مدرسية يعود إلى قرابتهما له ، فهو ابن خالة أمهما .. وقد أثر فيهما مرضه، فزاراه فى المستشفى ، وقابلاه فى فراشه.. ولهذا نجد أنهما يعتبران هذا الأمر نبأ خطيراً يهم سائر زملائهما كما يهمهما ! ..

ولكنك تلاحظ أنهما لم يكتبا كلمات مجاملة تحت الصورة .. إن الكلام مختصر .. ولو أنك عدت إلى أصل الصورة ، لوجدتها منشورة فى العدد الصادر

يوم أول مايو سنة ١٩٢٤ من مجلة « النيل » وقد كتبت النيل إلى جوارها ما يلى:

ـ « نزف إلى الأمة المصرية بُشْرَى شفاء وزيرها العامل صاحب المعالى فتح الله بركات وزير الزراعة ولباسه ذلك الثوب الثمين– لباس العافية – الذى استحقه بما له من المكانة فى قلوب المخلصين.. نزف تلك البشرى إلى القراء ، ونقدمه لهم مع زميله حضرة صاحب المعالى حسن حسيب باشا وزير الحربية ..ولا بدع أن يراه القارئ بجواره فى ذلك اليوم الذى تم فيه الشفاء .. فهو أول من واساه وأكثر التردد عليه فى أيام العلاج ..

ولايوجد من ينكر على المصريين أنهم رجال أصبحوا يتفانون فى محبة أبطالهم وصحبهم الذين رفعوا شأن مصر ، وعلى رأسهم صاحب الدولة سعد باشا زغلول .. فقد أصبحنا اليوم ولبشرى شفائه رنة فرح شامل ، وإننا فى هذا المقام لايسعنا إلا أن نصف ابتهاج الأمة بطلعته بعد احتجابه عن أعين المحبين . أخذ هذه الصور مصورنا المسيو شارل المصوراتى بشارع عبد العزيز بمصر» ..

وفى أواخر هذا العام نفسه حدث ضخم فى تفكير الولدين الصغيرين .. ففى ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٢٤ صدرت أول مجلة بالروتوغرافور فى مصر ، وهى مجلة المصور التى أصدرها الأستاذان إميل ، وشكرى زيدان ..

وكانت المصور تختلف عن «اللطائف» و «النيل» بجودة طبعها وأناقة صورها ، وكتبت المصور فى عددها الأول تقول :

* **أيها القارئ الكريم :**

هذه مجلة أصدرناها لتسليك وتبهجك ، وتتحدث إليك حديث صديق يقتطف لك من كل بستان زهرة ومن كل شجرة ثمرة ..

وستحمل إليك فى كل أسبوع مجموعتين :

١ـ مجموعةمن صور الأشخاص والحوادث والمشاهد ، مما يتحدث عنه الناس و يتوقون إلى رؤيته .. وهذه الصور تطبع بأعظم الإتقان ..وعلى أحدث الطرق الفنية التى تخرج الصورة المطبوعة كأنها فوتوغرافية ، مما لم يعرف بعد فى هذه البلاد ..

٢ـ مجموعة من الفكاهات والنبذ المفيدة والقطع المسلية المطربة ، منتقاة من المصادر القديمة والحديثة .. الشرقية والغربية .. ومرادنا أن يكون ما ننشر من أدب خالياً من التقعر ،وما ننشر من علم خالياً من التفلسف .. وما ننشرمن اجتماع خالياً من التعصب..

فكأنك ستطالع مجلتين فى مجلة واحدة : إحداهما :مصورة ، والأخرى أدبية فكاهية ..

وقد اتخذنا لكل من هذين القسمين شعاراً نسير بمقتضاه .. فأما القسم المصور فشعاره قول نابليون :

ـ « **رُبّ صورة صغيرة أفصح بياناً من المقالات الطويلة** » ..

وأما القسم الأدبى الفكاهى فشعاره الحكمة العربية المشهورة :

ـ « **خير الكلام ما قل و دل ، ولم يطل فيمل** » ..

فأياً كانت الجريدة أو الجرائد التى تعودت مطالعتها فلا غنى لك عن المصور لأنه مكمل لها ، متمم لفائدتها .. هو كطبق الفاكهة على مائدة الطعام .

إن مبدأنا هو الخدمة ـ خدمة القراء ـ وخلفنا أكثر من ثلاثين سنة تشهد بأننا ما فتئنا سائرين على هذا المبدأ فى كل ما أصدرناه .. وإنه لمن دواعى البشر أن يكون « صدور المصور فى مفتتح العهد الدستورى فى ظل صاحب الجلالة الملك

فؤاد الأول » ..

والآن .. نستودعك أيها القارئ ، ونترك لك الحكم على نياتنا وأغراضنا من مطالعة هذا الجزء والأجزاء التالية .. والسلام عليك» ..

وصدور المصور أثر فى عقلية (على) و(مصطفى) الصحفية ، و ساعد على ذلك أن سعد زغلول عاد هو وصفية زغلول من رحلتهما لإجراء المفاوضات فى إنجلترا فى ٢١ من أكتوبر سنة ١٩٢٤ ، أى قبل صدور المصور بثلاثة أيام .. وأحضرت صفية زغلول لعلى ومصطفى هديتين من إنجلترا هما عبارة عن آلتى تصوير وكمية من الأقلام ! ..

ويصدر عدد السبت ٩ من نوفمبر سنة ١٩٢٤ من مجلة الطالب .. وإذا فيه تغيير ملحوظ ..

لقد أضيفت كلمة إلى اسم المجلة فأصبح هكذا « الطالب المصور » بعد أن كان الأخوان يقطعان الصور من المجلات المصورة راحا يلصقان بعض الصور التى يلتقطانها ..

وكانت الصور رديئة لا تدل مطلقاً على مستقبل فى عالم التصوير.. إن فيها صوراً غير واضحة لافتتاح البرلمان المصرى فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، و صورة غير واضحة لسعد زغلول لمناسبة استقالته من الوزارة .. وصوراً متعددة لمباريات كرة القدم بين المدرسة الخديوية والمدرسة السعيدية ومدرسة الناصرية ومدرسة محمد على الابتدائية ..

وفى طوال سنة ١٩٢٤ وسنة١٩٢٥ كانت مجلة الطالب تحاول أن تنتقل من مجلة أخبار السنة الثالثة الابتدائية ، لتكون مجلة مدرسة المنيرة كلها ، فتنشر أخبار جميع الفصول .. وفى أواخر سنة ١٩٢٥ بدأت تهتم بأخبار المدارس

الابتدائية الأخرى ، فأصبح لها بعض المندوبين من مدرسة القربية ومدرسة الناصرية ومدرسة محمد على ومدرسة الحسينية .. وأخذت تنشر أسماء أبطال كرة القدم فى هذه المدارس ، وتكتب عن المباريات التى تدور بينها ..

وفى أواخر سنة ١٩٢٥ اختفت الصور من مجلة الطالب ! . لم نعد نجد أثراً لآلتى التصوير اللتين أهدتهما صفية زغلول للتوءمين ..

كان سبب هذا أنهما أُصيبا بأزمة مالية .. لم يعد مصروفهما كافياً لطبع مجلة أسبوعية من أربع صفحات بالبالوظة .. ولهذا فقد باعا الآلتين بمائة قرش ليشتريا بثمنهما ورقاً وحبراً وبالوظة أخرى لطبع المجلة..

وكانت آلة التصوير الواحدة تساوى فى تلك الأيام حوالى ثلاثة جنيهات .. ولكن التوءمين باعا الآلتين معاً بمائة قرش .. ويظهر أن الأزمة المالية فاجأتهما قبل صدور العدد ، فاضطرا لبيعهما بثمن بخس ..

ولكن بيع آلتى التصوير أحدث أثراًخطيراً فى تفكير التوءمين .. إنه نقلهما من مدرسة صحفية إلى مدرسة صحفية أخرى .. لم تعد الصورة الفوتوغرافية تشغلهما .. و لهذا اتجها إلى مدرسة أخرى فى الصحافة لم تلبث أن استهوتهما واحتلت مشاعرهما ، ولهذه المدرسة أثرها الكبير فى حياتهما الصحفية .. وفى اختيارهما مهنة الصحافة ..

* * *

المليونير البخيل*

يقول محمد السيد شوشة :

عبد الوهاب مشهور بالبخل ، فهو بالرغم من غناه الواسع ، لم نسمع مرة أنه تبرع لمشروع خيرى ، و لو بإحدى إذاعاته المسجلة.. ولم نسمع أنه افتتح مدرسة أو مسجداً أو مستشفى للفقراء من أبناء مهنته .. بل لم يذكر عنه فى ميدان الكرم ، حادث صغير ينفى عنه صفة البخل التى اشتهرت عنه ..

*** فهل عبد الوهاب حقيقة رجل بخيل دقة - كما يقول أبناء البلد؟**

ـ فى الحقيقة أن عبد الوهاب رجل حريص وليس بخيلاً ، إذا كانت كلمة حريص ليست ابنة عم كلمة بخيل .. فهو يعرف قيمة القرش .. ولا يمكن أن يضعه فى غير موضعه ..

وأعتقد أنه هو الذى يشيع عن نفسه صفة البخل ، حتى يبعد عنه الطامعين فيه .. بينما تراه يغدق الإحسان فى الخفاء على أقاربه وأبناء أسرته الفنية الفقراء .. وهذا فى الوقت الذى تراه دائما لا يحمل فى جيبه نقوداً صغيرة .. فإذا جلس فى نادٍ ، وقدمت فيه المشروبات له ولأصدقائه فإن من يسدد الحساب يكون أحد الأصدقاء ..

وإذا وقفت سيارته فى مكان وجاء المنادى يطلب قرشاً .. فإن السائق هو الذى يدفع القرش ،ثم يأخذه جنيهاً يدفعه له عبد الوهاب فى نهاية الشهر عن طيب خاطر ..

(*) عبد الوهاب : الموسيقار المليونير سنة ١٩٥٦ .

وإذا اعترضه فقير يطلب إحساناً ، فإنه يتحسس جيوبه فلا يجد إلا ورقة بخمسين أومائة جنيه ..فيطلب منك خمسة قروش يدفعها للفقير ، لينال الثواب والدعوات على حسابك ..

وظل صبحى ـ أحد موظفى مكتبه ـ مدة طويلة يرتدى بنطلوناً قصيراً حتى أقبل الشتاء وشعر بالبرد ، وطلب من رئيسه عبد الوهاب بنطلوناً طويلاً.. وكان معه فى ذلك الوقت مأمون الشناوى فرقّ قلبه لحال صبحى الذى يرتعش من البرد فى بنطلونه القصير فقال له :

ـ يا أخى الواد عايز يدخل ثانوى ..

ويروى عنه بعض من اشتغلوا فى أفلامه أنه كان فى فترات الغداء أو العشاء يدعوهم لتناول الطعام فى أحد المطاعم ، وعند الدفع يقول إنه نسى دفتر الشيكات والنقود فى الجاكتة الأخرى .. فيتطوع أحدهم بدفع الحساب .. حتى تكررت هذه اللعبة ، فأضربوا جميعاً عن الدفع ، واضطر عبد الوهاب إلى أن يطلب من المطعم أن يرسل قائمة الحساب إلى المكتب ..

* * *

(دبـــــاغ)

وعلى ذكر الطعام .. نذكر أن عبدالوهاب مشهور بأنه «دباغ» أى أنه يأكل كثيراً .. يدعوك للغداء معه على مائدته ، ويشغلك بالكلام ، ثم يأكل ما أمامك، ولا يترك لك شيئاً ويقول :

ـ إنت مش عايز عزومة .. إنت فى بيتك ..

وإذا وجدك بدأت بالأكل ، يعود ويسألك أن تروى له قصة أو حكاية أو

خبراً حتى تقوم عن المائدة دون أن تحتاج لغسل يديك ؛ لأنهما لم يلمسا طعامه..

ويروى عنه أنه دعا مرة ستة ضيوف للغداء .. فتأخروا عن الوصول فى موعدهم .. ولما وصلوا بحثوا عن الطعام المعد للضيوف الستة فلم يجدوا شيئاً .. ولما سألوه :

ـ أين الأكل؟

قال لهم :

ـ أعمل لكم إيه ؟ قعدت اتسلى لغاية ماتيجم ، فشطّبت على الأكل .

وبينما يحرص المطربون على عدم الغناء وبطونهم منتفخة بالطعام .. فإن عبد الوهاب يشذ عن هذه القاعدة .. ولا يغنى إلا إذا أكل فرختين محمرتين .. ليسلّك حنجرته فقط .. ثم يتناول وجبته المعتادة عقب الفراغ من عمله ..

(لا يأكل قبل أن يُقْسِمْ له الطاهى بالطلاق)

وبالرغم من هذا كله ينفى عبد الوهاب عن نفسه أنه «دباغ» ويقول إنه ذواقة فقط .. يصوغ طعامه كما يصوغ ألحانه .. ويهتم دائماً بأن يصنع بيده «السلطة» فيغسلها بيده عشرين مرة .. ويغسل الطبق بالليفة والصابون أربعين مرة.. ثم يضعها بعد ذلك فى البرمنجانات أى المطهرات ..

ويشرف على إعداد الطعام بنفسه .. وعندما يقدم له يجب أن يكون مغطى جيداً ..

كنت أتناول الغداء مرة على مائدته .. وجاء الطاهى بطبق ، فسأله هل غسلت الطبق جيداً ؟ . فأجاب الطاهى بالإيجاب ..

وقبل أن يمد عبد الوهاب يده للطبق تراجع قائلاً :

ـ طيب احلف إنك غسلته ..

فراح الطاهى يقسم بأغلظ الأيمان .. وبالرغم من ذلك كله لم يقتنع وراح يسأله :

ـ هل أنت متزوج ؟

وقال له الطاهى بلهجته النوبية :

ـ نعم يا سيدى .. ليه ؟

فقال له :

ـ طيب احلف بالطلاق ..

فأقسم له الرجل بالطلاق ثلاثاً ، وبعد ذلك استطاع عبد الوهاب أن يطمئن ويأكل ..

(١٠٠ ألف جنيه على بطن أخيه)

وبلغ من حرص عبدالوهاب أنه كان يودع مبلغ مائة ألف جنيه فى أحد البنوك .. وفى ذلك الوقت أشيع أن هذا البنك على وشك الإفلاس .. فلم ينم فى تلك الليلة خوفاً على ضياع المائة ألف « أهيف » أى جنيه ..

وفى الصباح الباكر ، فتح أبواب البنك مع البواب .. وسحب المبلغ بأكمله .. وتملكته الحيرة بعد ذلك أين يحتفظ به بعد أن فقد ثقته فى كل البنوك .. وإذا احتفظ به فى بيته أو حمله معه ، فقد يتعقبه أحد اللصوص .

و أخيراً اهتدى إلى فكرة جهنمية .. فقد اشترى حزاماً من الجلد ولفه على بطن أخيه الشيخ حسن ، ووضع بداخله المائة ألف جنيه .. ثم أمر أخاه بألا يبرح البيت .. وألا يستحم بالماء ..ولايستقبل ضيوفاً .. وازداد شوقه إليه فى أثناء تلك الفترة .. فكان يزوره فى بيتهم عشرات المرات فى اليوم الواحد .. ويسأل عن صحته بالتليفون كل ساعة ستين مرة ..

والشقيق يؤكد له أن صحته بخير .. ويعنى بذلك أن صحة المائة ألف جنيه فى الحفظ والصون ..

ويحب عبدالوهاب العسل الأسود .. ولذلك بعث إليه صديق بصفيحة عسل من لبنان بطريق البحر .. ولما ذهب لاستلامها طالبه الجمرك بثمانية جنيهات .. بينما ثمن تلك الصفيحة لا يزيد عن جنيه واحد .. فماكان منه إلا أن رفض استلامها ، وقدمها هدية لرجال الجمرك ..

ولما سئل لماذا لم يستلمها وهو مشهور بحبه للعسل قال على الفور:

ـ صحيح أنا بحب العسل .. ولكن الثمانية جنيهات ألذ من العسل!.

(مريض الوهم)

ويطلق عليه أصدقاؤه لقب مريض الوهم ؛ لأنه إذا أصيب بوعكة برد خفيفة أو زكام طفيف لا يمكن أن يغادر الفراش أياماً.. ويقول لمن يسأل عنه : إنه فى حالة خطرة .. وإذا كشف عليه الطبيب وقال عنه أنه بخير .. يأتى بطبيب غيره .. فإذا أيد الثانى كلام الأول جاء بثالث ورابع وخامس ..

وقد حدث فى أيام الكوليرا أنه هجر بيته ، وأقام فى فندق ناءٍ بضاحية حلوان .. ولم يعط لأحد عنوانه حتى لايزور أو يزار ، خوفاً من أن تنتقل إليه عدوى الكوليرا التى مات بها الموسيقار الروسى تشايكوفسكى ..

وكان التليفون إذا دق فى غرفته يخشى أن يلمسه حتى لا يصاب بالعدوى من الشخص الذى يتحدث إليه على الطرف الثانى من التليفون ، وبينه وبينه مسافات وأميال ..

ويرجع البعض أسباب ذلك الوهم إلى أن عبدالوهاب أصيب بعقدة نفسية منشؤها أنه أجريت له عدة عمليات جراحية ، فأجريت له عمليتا جراحة فى بيروت عام ١٩٣٣و١٩٥٧ و أجريت له جراحة أخرى فى المستشفى القبطى بالقاهرة عام ١٩٤٧ لعملية جيوب الأنف ..

(ملك الأناقة)

ويعنى عبد الوهاب بمظهره كثيراً ، حتى أطلقوا عليه لقب «ملك الأناقة» فلا يفصل بدلة إلا عند «تشالجيان» ترزى الطبقة الراقية الذى يفصل البدلة الواحدة بمائة جنيه فقط .. (عام ١٩٥١) ..

كما يفصل قمصانه المنشاة عند صانع قمصان .. وكذلك أحذيته .. أما كرافتاته فيشتريها بالدستة من باريس ..

وفى الوقت الذى تراه فى الأماكن العامة يرتدى القميص ذا الياقة المنشاة والبدلة المكوية بحيث ترى كسرة البنطلون مستقيمة كحرف الألف .. تراه فى البيت لا يستريح إلا إذا ارتدى جلباباً فضفاضاً .. ويضع على رأسه طاقية

شبيكة..

ولاتنس أن هذا الجلباب ملوكى .. فقد أهداه إياه الملك سعود ..

(فنـان خجـول)

وبالرغم من أن عبد الوهاب قد تقلب فى أوساط مختلفة واشتهر بأنه دون جوان فإنه فنان خجول جداً يحمر وجهه خجلاً ، إذا رأى فتاة غريبة عليه .. ولا يستطيع أن يرفع بصره إليك إذا سمع منك ثناء ..

(شىء مخجل)

وعبدالوهاب مشهور بقصر النظر ... لا يرى شيئاً بدون نظارته السميكة .. وقد روى مرة أن سكرتيره أخبره بوجود صديق له لم يره من سنين ويريد مقابلته.. وبعد قليل دخل عليه شخص ، وكان وقتذاك قد خلع نظارته .. فظن أن هذا الشخص هو صديقه القديم.. فما كان منه إلا أن أقبل عليه بشوق زائد .. وأخذ يقبله ويأخذه بالمعانقة والأحضان .. ويقول له :

ـ إنت كنت فين يا أخى بقي لك سنين ؟ ..

فإذا به يسمعه يقول :

ـ جرى إيه يا بيه .. دنا على السواق ..

وهنا تصبب وجهه بالعرق من شدة الخجل والحياء ..

(متى يلحن؟)

أما كيف يضع عبدالوهاب ألحانه ، وفى أى وقت يهبط عليه الوحى؟ فإنك ستعجب عندما تعرف أن الوحى لا يهبط عليه ، ولا يمكن أن يندمج فى

اللحن إلا وهو متعب الأعصاب .. عندما يعود من سهرة بعد منتصف الليل وهو متنبه الحواس ..

وعندما يلحن ينسى نفسه .. ويكون أشبه بالمسحور .. ولكن ليس معنى هذا أنه لا يلحن إلا فى هذه الأوقات فقط .. فهو يضع موسيقاه فى أى وقت وفى أى ساعة من الليل أو النهار . و (**للحديث بقية**) ..